مَكَّة المُكرَّمة

وَمَا لَها مِن الفَضائِل

كلمةٌ

لسماحة الشيخ العلَّامة:

عبد الله بن حميد

رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ

فرَّغها: أبو عبد الرحمن أسامة الجزائري

-غفر الله له ولوالديه-

29 / من ذي القعدة / 1439هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبيّه الأمين، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

◆ مكَّة المُكرَّمة وما لها مِن الفَضائِل ◆

قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت:67]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص: 57]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾[النمل: 91]، فالمراد بـ «**البلدة**» هي: «**مكة المكرمة**»، ومعلومٌ أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أقْسَم بهذا الحرم في موضعين من كتابه ولم يُقسِم بأيّ بقعةٍ مِن بقاع الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾[التين: 1-3]، فقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ أي: «**مكة المكرمة**»، وقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ [البلد: 1-2] أي: «**مكة المكرمة**»، كل هذا يدلّ علىٰ شرف مكة وفضلها.

* وهي «**أمُّ القرىٰ**»؛ جميعُ القرىٰ فرعٌ عنها وتابعٌ لها، فالله ﷻ اختارها بأنْ جعل الحرَم قبلةً للمسلمين، يَؤُمّ المسلمون هذا البيتَ الحرامَ وهو الكعبة المشرفة في صلواتهم في اليوم والليلة خمس مرات ممّا يدلُّ علىٰ فضل هذا الحرم، وجعل عرصاتِه مناسكَ للمسلمين كـ: «منىٰ» و «عرفات» و «مزدلفة».

* و «**الحرَم**» يؤمُّه المسلمون مِن كل حدبٍ وصوبٍ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: 27-28] قال بعض المفسرين: إنَّ إبرهيم ﷺ لمّا فَرَغَ مِن بناء الكعبة هو وابنه إسماعيل أمرَه الله بأن يُنادي في النَّاس أن يحجّوا هذا البيت، قال إبراهيم: يا ربّ، ومن يُبلّغهم صوتي؟ قال: أَذِّن في الناس بالحج وعليّ إبلاغهم، فأذَّنَ إبراهيم في الناس، فاللهُ بلّغَ مَن كان في أصلاب الرجال بدعوة إبراهيم، وهو قولك عندما تُحرم: «**لبّيك اللهم لبّيك**»؛ كأنَّ

المعنىٰ: «لبّيك يا ربّ، ها أنت دعوتني علىٰ لسان خليلك إبراهيم بأن آتي إلىٰ هذا البيت وها أنا جئت ملبيا دعوتك علىٰ لسان خليلك إبراهيم إذ قلت له: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾».

* **ومن مزاياها**: أنه لا يجوز لأحد أن يدخلها إلا وهو مُحرِم لابس كفنه، كاشف الرأس، خاضعا متذللا خاشعا لله تعالىٰ؛ هذا لمن أراد النسك.

* **ومن مزاياها**: أن الله ﷻ جعل حَقَّ مَن قصدها لقصد الحج أو العمرة أنْ يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه كما قال ﷺ: «**من حجّ هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»، وقال [...] عن العمرة: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد**» أو كما ورد عنه ﷺ.

* **ومن مزاياها**: أنَّ الحسناتِ تُضاعَف؛ ومضاعفتُها هنا بالكمّيّة، فالحسنة في مكة أعظم وأكثر ثوابا وأجرا مِن فعلها في غير مكة، كما أن السيئة أيضا في الحرم تُضاعَف؛ أعظم إثما وأكبر جرما من فعلها في غير الحرم؛ إلا أنَّ مضاعفة السّيِّئة بالكيفيَّة لا بالكمّيّة.

* **ومن مزاياها**: أن الرسول ﷺ أخبر بتحريم قطع شجرها وحشيشها الأخضرين إلا الإذخر، وأخبر بأنه لا يُنفّر صيدها ولا يُختلىٰ خلاها ولا تُلتقط لُقَطَتها إلا لمُعرِّف ليس إلا.

* **ومن مزاياها أيضا**: أنه يَحرُم علىٰ المسلم أن يستقبِلَها أو يستدبِرَها حالةَ قضاءِ الحاجة علىٰ تفصيل مذكور في كتب أهل العلم.

* **ومن مزاياها أيضا**: أنَّ اللهَ جعلها مثابةً للناس ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة:125]، ومعنىٰ ﴿مَثَابَةً﴾: كلّما ثابوا منه رجعوا إليه؛ فإنَّ القلب لا يشبع منه ولاسيما مَن تكرَّرت زيارته إليه، فإنَّ من تكررت زيارته إلىٰ البيت ثم ذهب إلىٰ أهله وبلاده تجد قلبَه يحنّ إلىٰ هذا البيت عند وقت مجيء الحج أو العمرة لا يصبر إلا أن يرجعَ إليه.

فهذا البيت لقلوب الرجال كالمغناطيس للحديد، كما قيل:

لَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا *** حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقًا

كل هذا يدل علىٰ ما لِمَكَّةَ من المزايا والخصائص.

* **ومن مزاياها**: ما جاء في حديث عبد الله بن عدي بن حمراء قال: رأيتُ النبي ﷺ علىٰ راحلته بالحَزورة وهو يقول: «**إنك خير أرض الله، وأحبّ الأرض إلىٰ الله، ولولا أنِّي أُخرجت منك ما خرجت**»، فلاحِظ قوله ﷺ: «**إنك خيرُ أرض الله، وإنك أحب الأرض إلىٰ الله**» فَدَلَّ علىٰ أنَّ مكةَ خيرُ الأرض وأفضلُها، وأنها أحبُّ البقاع إلىٰ الله مما يدل علىٰ فضلها وشرفها، ثم قول الرسول ﷺ: «**ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**» مما يدلّ علىٰ فضلها علىٰ المدينة كما هو قول جمهور العلماء؛ فإنهم قالوا: إنَّ الحرم أفضل من المدينة؛ ما عدا الإمام مالك فرأيه رَحِمَهُ اللَّهُ: تفضيل المدينة علىٰ مكة، لكن الذي جاءت به الأحاديث وكما قرّره جماهير أهل العلم هو: فضيلةُ مكة علىٰ المدينة كما هو معلوم، وفي ذلك مؤلّفات عديدة لأهل العلم في مسألة تفضيل مكة علىٰ المدينة.

* و«**مكة**» كما قلنا: هيَ أفضل البقاع، وهي التي يؤُمُّها المسلمون في صلواتهم في اليوم والليلة خمس مرات في أنحاء الأرض، والله أعلم.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.